

تحديات الحضارة الحديثة في عالم جبرا إبراهيم جبرا الروائي

Challenges of Modern Civilization in
Jabra Ibrahim Jabra's Novels

د. رابعة عمر حيات

أستاذة مساعدة

القسم العربي، كلية جناح للشهادة المشاركة (بنات)، مزنة، لاهور

Email: rabiaomarhayat.roh@gmail.com

Abstract

Jabra Ibrahim Jabra had acquainted himself well with western civilization and much of its aspects, when he went to England for higher studies. He believed that the Arab world could learn much from the west but he was also aware of how important it would be to preserve their own cultural and religious identity. This was illustrated well and often in his novels, where there would be characters that would advocate western reforms to Arabian civilization and opposing there would be characters against such changes. In his time Arabian intellectuals had very polarizing views on the model of western civilization. Those for it thought of it as the prime example for human civilization and those against it declared it nothing more than the product of Colonial Imperialism. Jabra Ibrahim Jabra in contrast to both of these views had a very neutral perspective; that western civilization is not all good neither all bad. This study will aim at highlighting both side views as well as Jabra's views through his novels and their characters.

Keywords: western civilization, modern Arabian life, acceptance, rejection

الملخص:

لقد رأى جبرا إبراهيم جبرا الكثير من جوانب الحضارة الغربية، حينما سافر إلى بريطانيا للدراسة هناك. وعلى الرغم من أنه آمن بقدرتها على تطوير العالم العربي، إلا أنه حذر من السلبيات الناتجة عن تجاوز محاولة التوفيق بين الأسباب الحضارية المستوردة من الغرب والتراث العربي الإسلامي، وفي خضم ذلك استحضّر جبرا بعض شخصيات رواياته واختلق بعضها الآخر، فاستعرضت طروحات فكرية تناولت غير قضية، تمس المواجهة الناشئة بفعل تعارض القيم الحضارية، في مرحلة التكوين التي تمر بها الحياة العربية المعاصرة.

إذا كان المفكرون العرب يتوزعون بين معجب بالحضارة الغربية، كنموذج للنهوض بحضارة عربية على نسقها، ورافض لها كشكل استعماري جديد يحكم المجتمع العربي في عمله، فإن جبراً جاء توفيقياً، معتدلاً في توجهه، إذ استطاع عبر طرحه شخصيات مثقفة واعية، أن يشير إلى أن الغرب ليس خيراً مطلقاً، كما أنه ليس شراً مطلقاً. ستبرز هذه الدراسة نماذج من الجانبين عبر شخصيات روايات جبراً إبراهيم جبراً.

الكلمات الهامة: الحضارة الغربية، الحياة العربية المعاصرة، معجب، رافض.

المقدمة:

ثمة مقولة حاضرة في روايات جبراً إبراهيم جبراً، تذهب إلى أن شكسبير أخو المتنبي، ومن هذا تدخل إلى المواجهة الحضارية من توجه مباشر يفرضه جبراً ألا وهو تقابل حضاري بين قطبين يتوارث أحدهما الآخر، لتكوين ثروة إنسانية يرد إليها كل ناهل يطمح إلى التقدم، وفي النهاية تتعدد الأقطاب وتثري البشرية من فضائل سابقيها، ومن مثالبهم كذلك.

أما الشخصية الروائية في مواجهتها الحضارية، فتخضع إلى مرجعية تاريخية اجتماعية تصوغ العلاقة الجدلية بين حضارتين مختلفتين، وفق معطيات التطور الحضاري الذي دأب الشرق والغرب على تبادل الأدوار الريادية بينهما، استجابة للسنن التفاعل الإنساني.

وفي اتخاذ الشرق التراث دعامة أساسية يتكئ عليها للنهوض المتجدد، توقف مرحلي عن التواصل الإبداعي مع الحضارة الغربية التي سادت العالم عقب تراجع الحضارة الإسلامية بعد سقوط الأندلس وتنازع الدويلات، وبقاء العرب يرزحون تحت تخلف مستمر مقابل تقدم ملحوظ للغرب، حيث تقدمت الحضارة على نحو مطرد، حتى غدا العصر الحديث موسوماً بلامح تلك الحضارة، وفي خضم التقدم العلمي و القفزة التقنية بتأثيراتها على المفاهيم الفكرية والنظم السياسية، ظهرت فجوة حضارية، ظل الشرق يرنو إلى ردمها - دون جدوى - حتى زمن طويل، غير أن المحاولات كانت متأخرة، وفردية، وفي سعيها كانت تتحلل من وهن الاستعمار الأوروبي الذي باشر المنطقة العربية بعد حكم الخلافة العثمانية وتبعاته عليها.

ومن الجلي أن المواجهة الحضارية، في روايات جبراً، ناشئة عن ماهية العلاقة بين حضارتين مختلفتين دينياً، وكل منهما تخاطب الأخرى تحت وطأة الأحداث السياسية المتخلقة آنياً والممتدة تاريخياً، بما يحمله ذلك من بنية ثقافة المدينة العربية المعاصرة، حيث تقيم شخصيات جبراً المستندة على ثقافة عربية، تدعمها درجات علمية من الجامعات الأوروبية والأمريكية.

نماذج من تحديات الحضارة الحديثة في عالم جبرا إبراهيم جبرا الروائي:

في (صراخ في ليل طويل) يقوم جبرا بالفصل بين الثقافة والتقدم، فإن كانت الثقافة أساساً للتقدم، فليس من الضرورة الحتمية أن يكون التقدم صنواً للثقافة، وعلى غرار جبرا، يأتي بطله أمين محكوماً بالمرحلة الزمنية التي جاءت الجهود لرفع وتيرة الوعي الثقافي في طور التكوين، لذا ظلت الدعوة الملحة إلى الفعل الإبداعي الحقيقي تتلصقاً عند الخطوة الأولى في غياب أدوات التقدم من آلات واختراعات، فاقترصت تلك الخطوة على تقدير الخلق الإنساني، فـ "اليد هي تخلق، وسواء أكان خلقها خندقا، أم شجرة تفاح، أم تمناً، فإنه خلق عضلي، وهو منفذ الإنساني الوحيد".¹

وفي نظرة متفائلة بإيجابية فعل شعبي ناضج مع تقادم الزمن، يذهب أمين إلى أن نتائج الثورة الصناعية، والإبداعات الغربية، لم تكن لولا جهود الطبقات الفقيرة، وأبناء القرى، فهي اليد التي إن لم تشتغل تمت، أما اليد التي تضغط على أزرار كهربائية في بيوت ملأى بالخدم " فقد نسيت الحاجة إلى الخلق...".²

يثير تفاؤل أمين بثورة إبداعية شعبية التساؤل عن سبب امتناع شباب المدينة عن المساهمة في عمل مثمر فـ (عمر السامري)، طاف في الأقطار العربية والأوروبية، وتلقى علومه في الخارج، واطلع على ثقافات شتى، لا يحرك ساكناً لإحداث تغيير ما، بل اكتفى بمراقبة البؤس والفقر اللذين يأتيان على أي حياة ممكنة في المدينة، بما يشير إلى تقاعس المثقفين آنذاك عن البحث في سجل التقدم، غير أن أمين كذلك ينسى أن المقارنة غير عادلة، بين المدينة العربية، والمدينة الغربية، التي استقرت حضارتها واستتبّت. أما في (صيادون في شارع ضيق)، فنلاحظ هبوطاً في مستوى توقعات جبرا للدور الذي يأمله من الشعب في الرواية الأولى، لهذا يصف الشعب بـ "الرعاع" دلالة على غوغائيتهم اللامنتجة، ولعل مرد ذلك إلى اختلاف فكرته عن الفعل الممكن لهم بعد هزيمة العرب في فلسطين عام ١٩٩٨م. فالدور الذي توخاه جبرا من جهود الشعوب تفتت لأسباب داخلية، وأخرى عقائدية، والتشبث بالأفكار الرجعية منح الفرصة المتاحة للثقافة من التواجد على نحو واسع، كما أن الخدعة التي مارسها الغرب على الفلسطينيين خاصة والعرب كذلك، دفعت المثقف إلى الحذر من التسليم للحضارة الأوروبية بأشكالها وظلالها، أي أن تقابل حركتين ثقافيتين متفاوتتين حررت الشخصية عند جبرا من الوقوع بين حجر رحي في تعصبها لإحدى الثقافتين دون غيرها، والسقوط في شرك التناقض.

لقد حملت العلاقة بين (توفيق الخلف) العراقي البدوي، الذي يؤمن أن البادية هي اللقاء والطهارة بعيداً عن حضارة المدينة، و(برايمان فلنت) البريطاني المقيم في بغداد الذي يرى فيها أحلامه التي يستمدّها من أجواء حكايات "ألف ليلة وليلة". ولعل الاختلاف بينهما، يبرز في موقفهما من

المدينة، وفي موقفهما من الزمن بتجلياته الحضارية والفلسفية. يجعل جبرا من الزمن محور الخلاف الذي يمثله في فكريهما، بما يمثله كل منهما من مبادئ الحضارتين، فـ (برايمان) يملك إدراكاً واعياً للزمن، حين يقف وحين يجري، وجميل فران بمثاقفته الغرب يؤكد هذا الوضع، أما (توفيق) فيؤمن باللازمنية، وهو رافض لكل تطور زمني بوصفه بادرة حضارية مريضة، انطلاقاً من أن الإحساس بالزمن دفع الغرب إلى تسريع الإنتاج لمزيد من الأرباح، وبالتالي أضاف إلى الإنسان إحساساً بالإغتراب عن إنتاجه وإبداعه - وفي هذا قول لاحق - لضرورة الحفاظ على الاقتصاد الرأسمالي، ونتيجة ذلك كانت التضحية بالفرد إذ تحول إلى إدارة إنتاج غير واعية لذاتها، دفعاً للحضارة الغربية الصناعية. وفي تصريح مباشر، يذهب توفيق إلى أهمية الانتماء إلى حضارة غير مادية، تبتعد عن أقيسة الزمن فيصبح الإنسان "جزءاً لا ينتهي مما لا يقاس، من الأبدية".³

مما سبق نصل إلى عدم اكتراث (توفيق) بالوقت، وذلك نتيجة تلاشي أسباب القلق والخوف من فقدان شيء، فـ (توفيق) من جهة يحرص على بقاء البداوة، التي تتجلى خارج الإحساس بالزمن، بينما لا يستطيع هو التخلي عن حياة المدينة أبداً. وبدلالة اسم (توفيق الخلف) يعيد جبرا ملامح شخصيته التي تحمل تاريخ أسلافنا ولكنها تسعى إلى التوفيق بين ما تحمله من أفكار وجريان الحياة إلى الأمام تجاوباً مع ناموس الحياة.

يصور جبرا بصوت الراوي جميل (برايمان فلنت) شخصية جدلية، فهو يعمل مصرفياً في أحد البنوك، تخرج من جامعة بريطانية حديثاً، يحاول تعلم اللغة العربية، وكما تلمح الرواية فإنه يعمل لصالح الاستخبارات البريطانية بتقديمه تقاريره لهم عن أوضاع الشارع في بغداد، ومن اختلاطه بأبناء العراق، وفي ميله لكل ماهو شرقي، "إذ يحب كل شيء يراه، حتى القمامة في شارع الرشيد، وعلق عليها بقوله: إنها على الأقل أصيلة. ليس ثمة تشويه للحقائق هنا. الكمال والنقصان معروضان أمام أعين الجميع، والقمامة جزء أساسي من الإنسانية. عندما لا يكون الناس كلهم آلات صماء، فإنهم يميلون إلى التراخي بعض الشيء، وعدم الاهتمام بما يخلفونه وراءهم طالما أن مهمة الحياة نفسها قد أديت. يخيل إلي أن أمثال هؤلاء الناس فقط هم القادرون على المشاعر اللاهبة. تلك العواطف التي قد تكون كلها عذاباً ولوعة خاملة. الحياة هي من خلقهم: هم يصنعونها ولا تصنعهم هي".⁴

ومع ذلك، فإن الشخصيات ذات الميل الغربي برزت على الساحة كماً ونوعاً إما متهمه أو مبررة، وفي بحث هذه المواجهة الحضارية وردت أسباب سابقة متعلقة بالمواجهتين الاجتماعية والسياسية، وكذلك مواجهة السلطة. وهكذا تبرز على الوتيرة نفسها أزمات متفرقة ناتجة عن حركة المجتمع الداخلية، والاحتكاك المباشر أو غير المباشر بثقافة الغرب، وتظهر شخصيات مثقفة ثقافة غربية، واعية

بالأزمات وداعية إلى تجاوزها عبر الاستفادة العميقة من تلك الحضارة، في سبيل توجيه المجتمع ونواة الحضارة، وهو مجتمع تتنازع القوانين البدائية وتسيره قوى غريبة وتتقاسمه مؤثرات سلبية.

مسيح جميل ووديع يختلف عن مسيح الغرب، والذي لم يعد موجوداً في حدود جغرافية، بل امتد حضوره إلى عوالم الخيال التي لا تطؤها قدم إنسان: "لقد أمسى المسيح عند الغرب فكرة - مجردة ضمن مشهد، غير أن المشهد فقد كل معناه الجغرافي و الأرض المقدسة عندهم أرض في عالم الجن. وقد اخترعوا أورشليم زاهية لهم وحدهم، وجعلوها مدينة أحلامهم، أما بالنسبة لنا فإن الجغرافية حقيقية ولا مفر منها، عندما ينشدون عن القدس في ترانيمهم فإنهم لا يقصدون مدينتنا، قدسهم حنة، وقدسنا نار، جهنم، مدينة آلات الحرب لاحتلال العالم، واستعباد الشعوب، عبر ترسيم الغربي للسياسات القابضة على مصير الدول، فتوالي سيطرتها الاستعمارية متعللة بحماية الأقليات المسيحية الداخلية في نسيج الحضارة الإسلامية، ومستغلة وجودهم لاحتلال بلادهم.

تنضم (إميليا) برحلتها تلك إلى الرحالة الأوروبيين الذين يأتون إلى الشرق هارين كذلك، وكل منهم "هارب من مجتمع لا ينسجم معه، أو امرأة يخشى زواجها، أو راحة تنخر قلبه كالسوس في الخشب، ولكن الحرب لديه هو نحو الأصعب والأشق - والأجدي، خمس سنوات يقضيها رحالة بين الأعراب يتعلم لهجة من لغة لن يقرأها ولن يكتبها، ويعود إلى لندن أو باريس عودة قائد مظفر من معارك نائية، ليصف طلوع الفجر على خيمة مر عز سوداء، وكيف تتلقى الحصى أولى الأشعة بلا سلام، كذلك لم تعد قدسهم مدينة المسيح، بل مدينة داوود، فماذا يهمهم إذا تهدمت بيوتنا، وإذا تقطعت ألف ليلي إلى أشلاء صغيرة وحولت أبواب مدينتنا إلى مذابح؟ لقد سرقوا مسيحنا ورفسوننا في أسناننا".⁵

لم يكن لـ جميل المثقف ثقافة غربية أن يبرر للغرب، بيعه ما لا يملك لمن لا حق له في التملك، ويظهر ازدراؤه للسياسات التي حولت الحلم إلى كابوس، ووسيلة لتثبيت الأوضاع المتردية في العالم، أو كما يقول (وليد مسعود) المحابه بعنصرية المسيحية الغربية حينما قارن بين غاية المسيح التي جاءت بها والمآل الذي وصلت إليه، حينما أشار إلى زميله في دير إيطالي (بوترو براتشي) عن مسيرة المسيحية عبر التاريخ نحو غاية مخالفة ووفق سياسات الغرب:

"فقلت له: ولكن المسيح لم يحارب بأدوات القتل، أنظر ما الذي استطاع أن يفعل باثني عشر تلميذاً معدم، أبرعهم صياد سمك من طبريا، في قرنين أو ثلاثة غير العالم، ولكن الإمبراطورية الرومانية الهرمة عادت فالتهمت النصرانية، واستوعبتها وجمدت التغيير.

- فhez رأسه مستهزئاً بمنطقي.

— فأضفت: نصبت الإمبراطورية المسيح مكان قيصر، وجعلت منه قيصراً أبدياً يحكمون باسمه — و عاد الناس عبيداً من جديد لألف سنة أخرى.

— فصاح بي، وقد تحول استهزاؤه حنقاً: أي تأويل هذا للتاريخ، وللدور الذي لعبته الكنيسة القديمة فيه؟... ثم أمسك بتلابيب جبتي السوداء وقد جحظت عيناه: أتعلم أيها المفكر، إنك تكفر بنعمة من آواك في دير إيطالي، بعد أن كنت تتسكع جائعاً في قرية فلسطينية".⁶

تبدو الصورة المعاصرة للمسيحية قائمة، مقارنة بتاريخها، — (وليد) يراها في ظروفها الراهنة تختلف عن المسيحية التي عرفها في موطن المسيح حيث عاش طفولته، "حيث صارت آلة من البنفسجية فتوهج كاللآلي، ملقية وراءها ظلالاً زرقاء... إنه يكتشف الإنسان في جوهره، وقد اغتني بالله ونفسه عن كل شيء إلا الأقل القليل: كلمة جميلة واحدة تطربه، وكلمة حارقة واحدة تلهيه، حيث المروءة تبدى في كل يوم، حيث الحياة هي الشجاعة المتجددة ولا يبقى للجبان إلا موته المتكرر، وفي النهاية يكتب الرحالة كتابه وينشره، ونقرأه بلغته الأجنبية لنعرف شيئاً جديداً عن أنفسنا، لنعلم أين بعضنا منا".⁷

ولعل (مريم الصفار) نموذج على جهل العربي بتاريخه، على الرغم من أنها طالبة التاريخ وتدرسه، كما أن (برايان فلينت) واحد من هؤلاء الذين جاؤوا الشرق في مرحلة اليقظة العربية المتأخرة، يقول عدنان لـ (برايان): "نحن استيقظنا على حبطة قوية، واكتشفنا تقدم الغرب المادي، وأيدولوجياته ونظرياته السياسية، أصابنا الرعب من ركودنا. لهذا أردنا الانطلاق، الجريان، الحركة .

— أ لم تحققوا شيئاً من ذلك؟

— أنت تعرف جيداً يا برايان أننا لم نحقق شيئاً بعد، لا تدع الجهل بينما أنت تعرف ككل إنجليزي آخر عن سياستنا أكثر مما نعرف نحن".⁸

وعدنان كغيره من المثقفين العرب على دراية بالأطماع الغربية التي تنهض بحضارتها على مقدرات الشعوب، والشرق منهم، وهو من الرافضين سياسات الغرب التوسعية، ونفوذها الاقتصادي، فكما كانت القدس محط أنظار الغرب التوسعية كانت بغداد موضع أطماعها الإقتصادية، المدينة الأولى لزرع إسرائيل فيها وفي قلب الوطن العربي، والثانية بوابة لامتناسص الإمكانات المستقبلية لأي حضارة محتملة، ولذا، — عدنان يعتقد أن الغرب لا يهتم بالعرب إلا قضاء لمصالحه. ويدعم هذا التوجه قول (عبد القادر): "بلد رائع للأجانب الذين يعيشون على ما تدره أرضنا من خيرات غير مبالين بمشاكلنا، مما يجعلهم يقولون إنه بلد رائع، وهذه مدينة ناشطة الأعمال — بالنسبة لهم".⁹

تقوى المواجهة الحضارية تبعاً لتحيز الغرب ضد العرب، وحديث (براىان) عن انتعاش بغداد بسبب النفط يأتي برد فعل عدنان: " النفط على حدائي، أنتم لا تهتمون بنا إلا بسبب النفط، ولكننا لم نعرف أهمية النفط بالنسبة لنا إلا حديثاً. إنما المهم أن صحوتنا كانت صحوة ذهنية جاءت مع بداية القرن حين فتحنا أعيننا فأصابتنا هزة عنيفة. كان الفقر والمرض قد دمرنا، إذ نقصنا من ثلاثين مليوناً إلى خمسة ملايين، وتحول القطر إلى يباب. هذه المدينة التي كانت تفاخر بجامعتها العظيمة حين كانت أوربا تغط في الظلام لم تكن تملك قبل خمسين سنة أكثر من بضع مدارس بدائية، غير أن السنوات الخمسين الماضية كانت سنوات غليان. فقد نفخ مثقفو لبنان وسورية في العرب في كل مكان روح التجدد قبل نشوب الحرب العالمية الأولى بقليل، ولم يتم ذلك بسهولة. إذ إن العثمانيين شنقوا الوطني بعد الآخر، ولكن كل جثة تدلت من على المشانق في ساحات بيروت ودمشق أشعلت فينا المزيد من الكبرياء والتصميم.

- والآن؟

- الآن؟ لك أن ترى بنفسك. وقعنا في شرك سياسية توازن القوي، سياسة النفط، سياسة الشرق والغرب".¹⁰

ولما كانت بغداد بمرجعيتها التاريخية والحضارية مدينة سحرية بتصور الأوروبيين، فهي بإرثها الاجتماعي تحولت عن مسارها التقدمي، لتتن تحت متطلبات التقاليد والعادات، وتضيق بمثقفها الناهلين من الغرب حيث حصلوا قسطاً من دراستهم، ومن هؤلاء عصام ولمى، فقد ظل كلاهما بمنأى عن حياتهما في الغرب، حينما كانا يدرسان في بريطانيا، متجاوزين الخلاف العشائري الذي ورثاه جزءاً من تركة اجتماعية، ومنها يصوغ جبرا المواجهة الحضارية، ومن جوانب سياسية وفلسفية عديدة فتحمل كل شخصية إشكالياتها بنتائجها ويتحولان كذا.

يعتقد عصام أن "البحر جسر الخلاص. البحر الطّري الناعم، الأشيب العطوف، وقد عاد البحر إلى العنفوان. لطم موجة ايقاع عنيف للعصارة التي تقذف في وجه السماء بالزهر والشفاه والعريضة والأذرع الممتدة كالشراك اللذيذة، البحر خلاص جديد إلى الغرب، إلى جزر العقيق إلى الشاطيء الذي انبثقت عليه ربة الحب من زبد البحر ونفث النسيم".¹¹

تنسل سراب من بغداد إلى باريس رفضاً لطقوس مجتمع الأسن والركود، وحلاً لما تعانیه في كونها شخصية ذات مواجهة اجتماعية ترفض وتمرد على مجتمعها، ترحل إلى الغرب كي تتحلل من أعباء مجتمعها الأم، ويكون الحل لديها في إعادة تشكيل حياتها بما يتفق مع حل مواجهة سياسية لم تظهر ملامحها في شخصيتها إلا قليلاً، يستدل على ازدواجية مواجهتها في قولها: "أهما أكثر مدننا، وما أجمل

أسماءها، وما أروع إحيائها، لو أننا فقط أحرار في الترحال فيما بينها، لو أننا فقط غير مكبلين في أحيائنا، لا نتحرك إلا جيئاً وذهاباً كل في زقاقه كالجرذان..."¹² أما اعتاقها من الرقاق فقد ولد مواجهة حضارية بمثاقفتها الغرب حيث تمارس حرياتها الفكرية والذهنية كذلك.

يمضي (نائل عمران) عبر الدخول في المرایا، روايته التي انتهت من تأليفها، إلى استقراء الأزمة التي يقدم عليها العالم، كمرحلة حتمية لأي حضارة، ومن رؤية الإمبراطور هدریان يعرض نائل قراءة معاصرة لفكر سابق، وفي الوقت نفسه، يعرض نبوءة موحية لشكل العالم المعاصر بأزمته الإنسانية الحضارية: "مستقبل العالم ما عاد يقلقني ما عدت أحاول أن أحسب، وأنا أتعذب، أطويلاً سيدوم السلام الروماني أم لا. إني أترك ذلك للألهة، وأنا لا أزعج أنني أردت إيماناً بحكمة الإنسان، بل العكس هو الصحيح. الحياة شنيعة، ونحن أدرى بذلك، ولكن بالضبط لأنني لا أتوقع الكثير من الوضع البشري، من فترات الهناء لدى الإنسان، من تقدمه الجزئي، من جهوده في البدء مجدداً إعادة الاستمرار - فإنها كلها تبدو لي أشبه بخوارق فجائية تعوض عن هذه الكتلة الفظيعة من الشرور والهزائم، من الخطأ واللامبالاة. النكبة والدمار قادمان لا محالة، والفوضى ستتصر، لكن النظام أيضاً سينتصر، من حين لآخر، والكلمات الثلاث: الإنسانية والحرية والعدالة، سوف تستعيد هنا وهناك المعنى الذي سعينا في إعطائه لها. كتبنا لن تفنى كلها وتماثلنا، إذا تحطمت، لن تبقى ملقاة كلها دون ترميم. ولسوف ترتفع قباب أخرى وواجهات بنائية أخرى من حطام قبابنا وواجهاتنا. ولسوف تكون هناك قلة من أناس تفكر وتعمل وتشعر كما فعلنا، وإني لأجازف في الاعتماد على مثل هؤلاء المستمرين، وقد توزعوا على غير ما نظام خلال القرون القادمة، وعلى مثل هذا الضرب من الخلود المتقطع على غير ما خطه..."¹³.

ومن هؤلاء المستمرين نائل، وذلك بلجوه إلى الفن لاستجلاء سلوك الإنسان كخالق للحضارة: "سواء من خلال التاريخ كما أفهمه، أو من خلال تنامي المجتمع كما أراه، أو من خلال تداخل التاريخ والمجتمع معاً دون هوادة وباستمرار"¹⁴.

الخاتمة/النتائج:

- يأخذ الغرب في صياغته الواردة في روايات جبراً شكلاً من أشكال الخلاص ومنفذاً للهروب، ويظل محطة تنزود منها الشخصية دون أن تستسلم لها، أو تلتصق بها، فتتغزل الشخصية عن حرفية تقليد ملامح تلك الحضارة الغربية، وتحاول الإفادة في غير ناحية تتواءم والحضارة الإسلامية والمجتمع العربي الشرقي، فتحفظ الشخصية العربية بذاتها بما يواشج الماضي بالحاضر، التخطيط واع لمستقبل مجهول المعالم، تتجوه فيه حركة الحضارات بتراتب فجائي و غير محدد.

- يقيس جبرا التقدم الحضاري بمدى الإنجاز الإبداعي على الصعيدين الفني والتكنولوجي، وحرية الرأي المساهمة في إصغاء التطور لتنامي المجتمعات.
- قد يتراءى التوجه إلى الغرب حلاً لأزمة فردية، غير أن هذه الأزمة تعبر عن أزمة يعيشها مجتمع كامل، يجاهد للتخلص من مشكلاته بالهروب، تلافياً للمواجهة ودرءاً للخطر بالابتعاد عن أسبابه، دون مواجهته والقضاء عليه. وفي هذا الطرح الذي تحمله الروايات تحويل أوجه المواجهات.

الهوامش

- 1 جبرا، جبرا إبراهيم: صراخ في ليل طويل. ص 38-39
- 2 جبرا، جبرا إبراهيم: صراخ في ليل طويل. ص 39
- 3 جبرا، جبرا إبراهيم: صيادون في شارع ضيق. ص 206
- 4 جبرا، جبرا إبراهيم: صيادون في شارع ضيق. ص 53
- 5 جبرا، جبرا إبراهيم: صيادون في شارع ضيق. ص 26
- 6 جبرا، جبرا إبراهيم: البحث عن وليد مسعود. ص 187-188
- 7 جبرا، جبرا إبراهيم: السفينة. ص 81-82
- 8 جبرا، جبرا إبراهيم: صيادون في شارع ضيق. ص 72
- 9 جبرا، جبرا إبراهيم: صيادون في شارع ضيق. ص 237
- 10 جبرا، جبرا إبراهيم: صيادون في شارع ضيق. ص 71
- 11 جبرا، جبرا إبراهيم: السفينة. ص 5
- 12 جبرا، جبرا إبراهيم: يوميات سراب عفان. ص 73
- 13 جبرا، جبرا إبراهيم: يوميات سراب عفان. ص 45
- 14 جبرا، جبرا إبراهيم: يوميات سراب عفان. ص 80

المصادر والمراجع:

- جبرا، جبرا إبراهيم: البحث عن وليد مسعود. ط3. بغداد: مكتبة الشرق الأوسط، 1985م.
- جبرا، جبرا إبراهيم: البئر الأولى (فصول من سيرة ذاتية). ط1. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2009م.
- جبرا، جبرا إبراهيم: السفينة. ط5. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2008م.
- جبرا، جبرا إبراهيم: شارع الأميرات (فصول من سيرة ذاتية). ط1. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2007م.
- جبرا، جبرا إبراهيم: صراخ في ليل طويل. ط3. بيروت: منشورات دار الآداب، 1988م.
- جبرا، جبرا إبراهيم: صيادون في شارع ضيق. ترجمة: محمد عصفور. ط4. بيروت، 2018م.
- جبرا، جبرا إبراهيم: يوميات سراب عفان. ط2. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2006م.
- خليل، د. إبراهيم: جبرا إبراهيم جبرا - وجوه المثقف الرومانسي. عمان: دار الفنون - مؤسسة خالد شومان، 2014م.
- خليل، د. إبراهيم: جبرا إبراهيم جبرا (الأديب الناقد). ترجمة: مصطفى أحمد وآخرون. ط3. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2001م.